الخطبة الأولى

عبادَ اللهِ : يَومُ القِيامةِ يَومٌ عَظيمٌ مشهودٌ، يَجمَعُ اللهُ فيه الأوَّلينَ والآخِرينَ، ويُصيبُ النَّاسَ فيه مِنَ الأهوالِ والكُروبِ، وتَشتَدُّ حاجتُهم إلى مَن يَشفَعُ لهُم عندَ اللهِ تَعالَى، ويَتقدَّمُ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ النَّاسَ ليَشفَعَ لهُم عندَ ربِّهم سُبحانَه وتَعالَى، وهي الشَّفاعةُ العُظمى التي اختَصَّه اللهُ تَعالَى بها، كما أنَّ له صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ شَفاعاتٍ أُخرى.

عبادَ اللهِ : في حَديثِ الشفاعةِ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنه المروي في البخاري يَروي التَّابعيُّ مَعبدُ بنُ هِلالٍ العَنزيُّ أنَّه اجتَمَعَ مع جَماعةٍ من أهلِ البَصرةِ -وهي مدينةٌ بالعراقِ- فذَهَبوا إلى أنسٍ في قَصرِه، والمُرادُ به بَيتُه الذي يَبعُدُ عنِ البَصرةِ نحوَ ستة كيلومتراتٍ تَقريبًا، وكانَ من عادةِ التَّابِعينَ أنَّهم يَتردَّدون على أصحابِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ ليَتعلَّموا منهمُ العِلمَ وسُنَّةَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقد أخَذوا معهم ثابِتًا البُنانيَّ، وكانَ من أخصِّ تلاميذِ أنسٍ رَضيَ اللهُ عنه وأقرِبِهم له، وطلَبوا منه أن يَسألَه عن حَديثِ الشَّفاعةِ، وكانَ أنسٌ رَضيَ اللهُ عنه في هذا الوقتِ قد كَبِرَ سِنُّه، فلمَّا وَصَلوا إليه وَجَدوه يُصلِّي الضُّحى -ووقتُها يَبدأُ بعدَ خَمسَ عَشرةَ دَقيقةً من شُروقِ الشَّمسِ، ويَنتهي وقتُها قُبَيلَ الظُّهر بعشرِ دقائق-، فاستَأذَنوا للدُّخولِ، فأذِنَ لهُم، وكانَ رَضيَ اللهُ عنه جالسًا على فِراشِه، وعندَ مُسلِمٍ: «وأجلَسَ ثابِتًا معه على سَريرِه»، وقد ذكَروا لِثابِتٍ أن يُسارِعَ ويُقدِّمَ السُّؤالَ عن حَديثِ الشَّفاعةِ، فاستجابَ لهُم ثابتٌ، وقالَ: يا أبا حَمزةَ -وهي كُنيةُ أنسٍ رَضيَ اللهُ عنه- هؤلاءِ إخوانُك من أهلِ البَصرةِ، جاؤوكَ يَسألونك عن حَديثِ الشَّفاعةِ التي تَكونُ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومَ القِيامةِ، فحَدَّثَهم أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: «إذا كانَ يَومُ القيامةِ» والنَّاسُ في المَوقِفِ العَظيمِ قيامٌ لربِّ العالَمين، «ماجَ النَّاسُ»، أيِ: اضطَربوا

مـــن هَـــولِ ذلـــك اليَـــومِ، وفـــي الصَّـــحيحَينِ: أنَّ النَّـــاسَ يَقولـــون: «لـــوِ استَشـــفَعْنا إلـــى ربِّنـــا فيُرِيحَنـــا مـــن مكانِنـــا هـــذا»، فأخَـــذوا يَلتمِســـون الشَّـــفاعةَ عِنـــدَ عَـــددٍ مـــنَ الأنبيـــاءِ؛ ليَقضِـــيَ اللهُ تَعـــالَى بـــين أهـــلِ المَوقِـــفِ، فالأنبيـــاءُ هُـــم أقـــرَبُ البَشَـــرِ مَنزِلـــةً إلـــى اللهِ عـــزَّ وجـــلَّ، وجَعَـــلَ كـــلُّ نَبـــيٍّ يَعتـــذِرُ عـــنِ الشَّـــفاعةِ، ويَـــدُلُّ علـــى غيـــرِه مـــن إخوانِـــه الأنبيـــاءِ، حتَّـــى انتَهـــى الأمـــرُ إلـــى صـــاحِبِها، ويَحتمِـــلُ أنَّهـــم عَلِمـــوا أنَّ صـــاحِبَها مُحمَّـــدٌ صـــلَّى اللهُ عليـــه وســـلَّمَ مُعَيَّنًـــا، وتَكـــونُ إحالـــةُ كـــلِّ واحـــدٍ مـــنهم علـــى الآخَـــرِ على تَدريجِ الشَّفاعةِ في ذلك إلى نَبيِّنا مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

عبـــادَ اللهِ : فيَـــأتي النَّـــاسُ آدَمَ عليـــه السَّـــلامُ، فيَعتَـــذِرُ عـــن هـــذا المَقـــامِ، ويقـــولُ: لســـتُ أهـــلًا لـــه؛ فهـــو يَـــذكُرُ مَعصـــيتَه الأُولـــى فـــي الجَنَّـــةِ، ويَخـــافُ مـــن غَضَـــبِ الجبَّـــارِ جـــلَّ فـــي عُـــلاه، ويُحـــيلُهم إلـــى إبـــراهيمَ عليـــه السَّـــلامُ، ووَقَـــعَ فـــي رِوايـــةِ مُســـلِمٍ: أنَّ آدَمَ يُحـــيلُهم إلـــى نُـــوحٍ عليـــه السَّـــلامُ، وأنَّ نُوحًـــا عليـــه السَّـــلامُ هـــو مَـــن يُحـــيلُهم إلـــى إبـــراهيمَ خليـــلِ الـــرَّحمنِ، والخَليـــلُ هـــو ذو المَحبَّـــةِ الخالِصـــةِ، وهـــذا وصـــفُ كَمـــالٍ فـــي إبـــراهيمَ عليـــه السَّـــلامُ يَحمِلُـــه علـــى أن يَقبَـــلَ الشَّـــفاعةَ فـــي هـــذا المَوقـــفِ العَظـــيمِ، لكنَّـــه يَعتـــذِرُ، ويُحـــيلُهم إلـــى مُوســـى عليـــه السَّـــلامُ؛ فقـــدِ اصـــطفاه اللهُ، واختَصَّـــه بكلامِـــه، فهـــو كَلـــيمُ اللهِ، فيَـــأتون مُوســـى عليـــه السَّـــلامُ، فيَعتَـــذِرُ، ويُحـــيلُهم إلـــى عيســـى عليـــه السَّـــلامُ؛ فهـــو رُوحُ اللهِ وكَلِمتُـــه، ومَعنـــى رُوحِ اللهِ: رُوحٌ مَخلوقـــةٌ بـــأمرِ اللهِ؛ فالإضـــافةُ إضـــافةُ تَشـــريفٍ. وقيـــلَ: مَعنـــاه: لـــيس مـــن أبٍ، وإنَّمـــا نُفِـــخَ فـــي أُمِّـــه الـــرُّوحُ، ومَعنـــى «وكَلِمتُـــه»: أنَّـــه خُلِـــقَ بكَلِمـــةِ «كُـــنْ» فسُـــمِّيَ بهـــا، فيَـــأتي النَّـــاسُ عيســـى عليـــه السَّـــلامُ، فيَعتَـــذِرُ ويُحـــيلُهم إلـــى نَبيِّنـــا محمَّـــدٍ صـــلَّى اللهُ عليـــه وســـلَّمَ، وكـــانَ كُـــلُّ واحِـــد مـــنهم يَعتـــذِرُ عـــنِ الشَّـــفاعةِ، قـــائلًا: لَســـتُ لَهـــا، ويَـــذكُرُ شَـــيئًا يَـــراه ذنبًـــا، ويَقـــولُ -كمـــا فـــي الصَّـــحيحَينِ-: «إنَّ رَبِّـــي عَـــزَّ وَجَـــلَّ قَـــدْ غَضِـــبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ».

عبادَ اللهِ : فلمَّا وصَلوا إلى مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أجابَهُم إلى طَلَبِهم، وقالَ: «أنا لَها»، ولعلَّ الحِكمةَ في أنَّ اللهَ تَعالَى ألهمَهم سؤالَ آدَمَ ومَن بَعدَه صَلواتُ اللهِ وسَلامُه عليهم في الابتداءِ، ولم يُلهَموا سُؤالَ نبيِّنا محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ هي -واللهُ أعلَمُ-: إظهارُ فَضيلةِ نبيِّنا مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ فإنَّهم لو سألُوه ابتِداءً لَكانَ يَحتمِلُ أنَّ غَيرَه يَقدِرُ على هذا ويُحَصِّلُه، وأمَّا إذا سألُوا غَيرَه من رُسُلِ اللهِ تَعالَى وأصْفيائِه فامتَنَعوا، ثُمَّ سألُوه فأجابَ وحَصَلَ غَرَضُهم؛ فهو النِّهايةُ في ارتفاعِ المَنزِلةِ، وكمالِ القُربِ، وعَظيمِ الإدلالِ والأُنسِ، وفيه تَفضيلُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على جَميعِ المخلوقينَ مِنَ الرُّسُلِ والآدميِّينَ والملائكةِ؛ فإنَّ هذا الأمرَ العظيمَ -وهو الشَّفاعةُ العُظمى- لا يَقدِرُ على الإقدامِ عليه غَيرُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وعليهم أجمَعين.

عبادَ اللهِ : ويُخبِرُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه يَتقدَّمُ ويَطلُبُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ الإذنَ في الشَّفاعةِ المَوعودِ بها، والمَقامِ المَحمودِ الذي ادَّخَرَه اللهُ عزَّ وجلَّ له، فيُؤذَنُ له، وقد وجَّهَ الإذنَ هنا بالشَّفاعةِ التي تَتعلَّقُ بأهلِ المَوقِفِ جميعًا لا ما يَخُصُّ أُمَّتَه فَقطْ؛ لأنَّ هذه هي الشَّفاعةُ التي لجأ النَّاسِ إليه فيها، وهي الإراحةُ مِنَ المَوقِفِ، والفصلُ بينَ العِبادِ، ثُمَّ بعدَ ذلك حلَّتِ الشَّفاعةُ في أمَّتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وفي المُذنِبينَ، فيَسجُدُ تحتَ عَرشِ الرَّحمنِ، ويُجري اللهُ عزَّ وجلَّ على لِسانِه مَحامِدَ يَحمَدُه بها، لم تَحضُر رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في الدُّنيا، فيَأذَنُ اللهُ عزَّ وجلَّ له بالشَّفاعةِ، وأن يَسألَ فيُعطى ما سألَ، فيَسألُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الشَّفاعةَ لأُمَّتِه، قائلًا: «أُمَّتي أُمَّتي»، وهُنا تَتجلَّى رَحمةُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ بأن يَقولَ للحَبيبِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: انطَلِق فأخرِج مِنَ النَّارِ مَن كانَ في قَلبِه مِثقالُ -أي: وَزنُ- شَعيرةٍ، وهي حَبَّةُ نباتِ الشَّعيرِ، «مِن إيمانٍ» وهو قدرٌ يَسيرٌ مِنَ الإيمانِ، وهذا بعدَ أن يَدخُلَ أهلُ النَّارِ النَّارَ، ومعهم عُصاةُ

أهلِ التَّوحيدِ. وهذا الصِّنفُ الأوَّلُ مِنَ الخارِجين منها هم مَن كانَ في قلبِه مِقدارُ وَزنِ الشَّعيرةِ مِنَ الإيمانِ، وما كانَ فَوقَ هذا أولى أن يَخرُجَ؛ فهذا هو الحدُّ الأدنى.

عبادَ اللهِ : ثُمَّ يَفعَلُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَرَّةً ثانيةً مِثلَما فَعَلَ سابقًا، فتَتَجلَّى رَحمةُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ -ورَحمتُه لا تَنقطِعُ- وَيَقولُ للحَبيبِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: انطَلِق، فأَخرِجْ مَن كانَ في قَلبِه مِثقالُ ذَرَّةٍ أو قالَ: خَردلةٍ، والذَّرَّةُ تُطلَقُ على أصغَرِ النَّملِ، وعلى الغُبارِ الدَّقيقِ الَّذى يَتطايَرُ مِنَ التُّرابِ عِندَ النَّفخِ فيه، والخَردلُ: حُبوبٌ في غايةِ الصِّغَرِ والدِّقَّةِ، يُضرَبُ بها المَثَلُ في الصِّغَرِ، وَزِنةُ الخَردلةِ رُبُعُ سِمسِمةٍ.

ثُمَّ يَفعَلُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَرَّةً ثالثةً مِثلَما فَعَلَ سابقًا، ويَزيدُ الرَّحمنُ في رَحمتِه بِعِبادِه، ويَقولُ لِلحَبيبِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: انطَلِق، فأَخرِجْ مَن كانَ في قَلبِه أدنى أدنى أدنى مِثقالِ حَبَّةِ خَردَلٍ من إيمانٍ، «فَأَخْرِجْه مِنَ النَّارِ»، فيَنطلِقُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيُخرِجُهم مِنَ النَّارِ، وقولُه: «أدْنى أدْنى أدْنى» يُستعمَلُ ذلك فيما لا يَوجَدُ له اسمٌ في القِلَّةِ.

الخطبة الثانية

عبادَ اللهِ : جاءَ من حديثِ جابرِ بنِ عبدِاللهِ رضي اللهُ عنه في الصحيحِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي "وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ.

اللهمَّ اجعلنا من أهلِ الشفاعةِ برحمتِك وكرمِك ياربَّ العالمينِ